مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (٧)، العدد (٢)، ص ص ٤٨٥-٥٢٠، (ربيع ثاني ١٤٣٥هـ/فبراير ٢٠١٤م)

تعدد أبنية المصادر في القرآن دراسة بلاغية
سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) نموذجا

د. خلود "محمد أمين" محمود الحواري
أستاذ مساعد في قسم الدراسات القرآنية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، المدينة المنورة

ملخص البحث. جاءت هذه الدراسة محاولة الكشف عن بلاغة استخدام المصدر في القرآن، وسر تعدد أبنيته، ومناسبة كلٍ للسياق القرآني، وبيان دور المبنى ونوعه في تحديد المعنى. وتهدف الدراسة إلى الإجابة عن عدول التعبير القرآني عن صيغة إلى أخرى، إذ لا بد أن يصحبه عدول عن معنى إلى آخر؛ فإذا نظرنا في أبنية المصادر نجد روعة إيثار بناء على آخر في القرآن الكريم، وقد أفاد المفسرون من صيغة الكلمة في إبصار السر البلاغي لانتقاء الكلمة، وأثرذلك في المعنى. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مبحثين: المبحث الأول: وهو يتناول الجانب النظري من حيث: تعريف المصدر، وبيان أنواعه، وأسباب تعدد أبنيته. وقد اقتصرت فيه على أهم المقدمات دون التوسع في اختلافات اللغويين. المبحث الثاني: وهو الدراسة التطبيقية للمصادر في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد تناولت فيها ما اشتهر تعدد أبنية المصادر فيه؛ فلم أتناول مالم يشتهر له مصدر ثان كمصدر الحق مثلا. ثم قارنت أبنية المصادر محل الدراسة مع أخواتها في القرآن؛ لمعرفة مناسبة كل مصدر في سياقه، وأثر الصيغة في تحديد الدلالة؛ وبذا يظهر إعجاز الكلمة القرآنية. ثم الخاتمة التي سجلت فيها نتائج البحث، والتي تدور في مجملها حول أسباب تعدد أبنية المصادر، والإجابة عن عدول التعبير القرآني من صيغة إلى أخرى في المصدر، وعرضت فيها توصيات، منها: الدعوة إلى دراسة موضوع تعدد أبنية المصادر دراسة علمية تأصيلية؛ بتعهد صيغ المصادر جميعها في القرآن بالدراسة والتحقيق؛ علها تثري المكتبة القرآنية بموضوع شائق ماتع متصل ببلاغة القرآن العظيم، والله من وراء القصد.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين؛ أن مَنّ علينا بأن جعلنا مسلمين، وجمعنا على كلمة الحق والدين، ورفعنا بالقرآن العظيم؛ حبل الله المتين، نزله على قلب نبيه، محمد (صلى الله عليه وسلم) بلسان عربي مبين، وأزكى الصلاة، وأتم التسليم، على سيد الأنبياء والمرسلين، محمد بن عبدالله، وعلى آله الطاهرين، ومن سار على هديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فخدمة لكتاب الله تعالى؛ في فهم آياته، وتأمل إعجازه، جاءت هذه الدراسة محاولة الكشف عن بلاغة استخدام المصدر في القرآن، وسر تعدد أبنيته، ومناسبة كل للسياق القرآني، وبيان دور المبنى ونوعه في تحديد المعنى. وتهدف الدراسة إلى الإجابة عن عدول التعبير القرآني عن صيغة إلى أخرى؛ إذ لابد أن يصحبه عدول عن معنى إلى آخر؛ فإذا نظرنا في أبنية المصادر نجد روعة إيثار بناء على آخر في القرآن الكريم، وقد أفاد المفسرون من صيغة الكلمة في إبصار السر البلاغي لانتقاء الكلمة، وأثر ذلك في المعنى.

أهمية البحث

تظهر أهمية البحث في كونه يبحث في موضوع ذي صلة بالقرآن الكريم، وإعجازه البياني، وسر انتقاء الكلمة، وميز فصاحة القرآن العزيز على الطريقة العربية السليمة، والمعاني البلاغية للصيغ والأبنية ودورها في تحديد الدلالة، أي: انتقاء الكلمة من حيث صيغتها، وكذلك في ارتباط البحث بالجانب التطبيقي -الذي هو أجدى من الدراسة الوصفية العامة - حيث اتخذت سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) نموذجا.

الدراسات السابقة

وأما عن الدراسات السابقة التي وقفت عليها في موضوع الدراسة فهي:

١ - **المصدر ودلالته البلاغية في القرآن الكريم،** د. أبو سعيد محمد عبدالمجيد، وهو بحث يهدف إلى بيان دور المصدر في علوم البلاغة الثلاثة؛ فبتنكيره: يفيد التعظيم، والتفخيم، والتقليل، وبزيادة التاء وإنابته عن أفعل التفضيل: يفيد المبالغة. وكذلك يقوم المصدر بوظيفة التشبيه بأنواعه: كالبليغ، والمرسل، والمجمل وغيره، وكذلك يأتي المصدر للدلالة على المجاز اللغوي والعقلي؛ وبذا يتضح افتراق هذا البحث عن دراستي في الهدف والوسائل؛ فهو لم يعن بالإشارة إلى تعدد أبنية المصادر واختلاف دلالتها تبعا لسياقها في القرآن.

٢ - **بحث في المصدر في القرآن الكريم: أبنيته، ووظائفه الدلالية،** د. هادي نهر، أستاذ اللغويات في جامعة عدن، وقد وقعت دراسته في جانبين: نظري: بيّن فيه مفهوم المصدر، وأسباب تعدد أبنيته، رافضا أن يكون اختلاف الأبنية راجعا إلى اختلاف اللهجات، أو كون ذلك مظهرا من مظاهر النيابة الصرفية فحسب؛ بل لخصوصية كل بناء من هذه الأبنية.

وقد أثبت الباحث ما يطمئن إليه من خلال دراسة تطبيقية، اختار لها محددا، وهو تفسير الإمام القرطبي -رحمه الله- مبينا جملة من الظواهر اللغوية في استعمال المصدر في القرآن، مبرزا موقف الإمام القرطبي من المصادر الواردة في القرآن، والتي تتمثل في ثلاثة محاور: الأول: إشارته إلى اختلاف الأبنية المصدرية دون توجيه للأسباب. والثاني: عرض الخلاف بترك إبداء الرأي أحيانا، أو الاجتهاد للوقوف على الأرجح أحيانا أخرى. والثالث: موقف اجتهادي واضح للإمام يقرره بالبرهان؛ مبينا أن توارد الأبنية وتعددها لا يجري اعتباطا أو من قبيل المترادفات؛ وإنما يجري ذلك إيذانا بدلالة محددة للبناء المعين لا يشاركه فيها بناء مصدري آخر.

وهذا ما يهدف د. هادي إلى إثباته، وهو ذاته الهدف الذي يحمله بحثي مع اختلاف ظاهر في الوسائل والمحددات، فلبيان خصوصية بناء المصدر في هذا القرآن العظيم كانت دراسة تطبيقية مقارنة لأبنية المصادر في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) وسيلتي لذلك؛ مستهدية بما يهمس به السياق، وما قرره علماء العربية من أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى؛ مستعينة بالجهود المباركة للغويين والمفسرين في الكشف عما بين هذه الأبنية من خصائص دلالية متمايزة.

وهذه اللبنة، والنفس ترقب من يتم البناء في هذا الموضوع الشائق الثري؛ بتعهد أبنية المصادر جميعها في القرآن الكريم بالبحث والمقارنة، في رسائل علمية رصينة. والله على كل شيء قدير.

محددات الدراسة

المصادر الصريحة الواردة في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وما ألحق بها كاسم المصدر والمصدر الميمي؛ والتي تعددت أبنيتها، واشتهر لها مصدر آخر في العربية: سواء أذكره القرآن أم عدل عنه.

منهج الدراسة

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي: القائم على تتبع ألفاظ المصادر الصريحة، وما ألحق بها كاسم المصدر والمصدر الميمي، الواردة في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم)، والتي تعددت أبنيتها واشتهر لها مصدر آخر في العربية: سواء أذكره القرآن أم عدل عنه؛ فلم أذكر في دراستي ما لم يشتهر له مصدر، أي: لم تتعدد أبنية المصدر فيه.

ومن ثمّ المنهج التحليلي المقارن: القائم على دراسة أبنية المصادر، وسياقها الذي جاءت فيه للتفريق بينها، ومعرفة مناسبة كل مصدر في سياقه، وأثر الصيغة في تحديد الدلالة.

خطة البحث

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مبحثين:

المبحث الأول: وهو يتناول الجانب النظري من حيث: تعريف المصدر، وبيان أنواعه، وأسباب تعدد أبنيته، وقد اقتصرت فيه على أهم المقدمات دون التوسع في اختلافات اللغويين.

المبحث الثاني: وهو دراسة تطبيقية للمصادر في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) التي اشتهر التعدد في أبنيتها.

واجتهدت فيما ليس للعلماء فيه رأي، أو إشارة؛ فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان ولا أعدم أجرا —إن شاء الله -.

والله أسأل أن يسدد الخطا، ويقوم الزلل، والله من وراء القصد.

المبحث الأول: المصدر: مفهومه، وأسباب تعدد أبنيته

المطلب الأول: تعريف المصدر

المصدر: "اسم الحدث الجاري على الفعل"[(١)]

فهو حدث مطلق دون التقييد بزمان، كما لا يدل على شيء آخر غير الحدث. يقول ابن جني في تعريفه: " كل اسم دل على حدث وزمان مجهول، وهو وفعله من لفظ واحد"[(٢)].

---

(١) ابن الحاجب، كافية ابن الحاجب مع شرح الرضي ٢/ ١٧٨.

فالمصدر بذاته لا يدل على الزمان ؛ وإنما الزمان من ملازماته ، يقول العكبري : (فإن لفظ المصدر لا يدل على زمان البتة ؛ وإنما الزمان من ملازماته"[٣].

ويقول ابن يعيش : "والمصادر لا تدل على الزمن من جهة اللفظ ؛ وإنما الزمان من لوازمها وضروراتها" [٤].

ونصَّ ابن مالك في الألفية على ذلك ؛ فقال :

"المصدر اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل كأمن من أمن[٥]"

وننتهي إلى أن المصدر يدل على الحدث دلالة مطلقة ، مجردة من الزمان ، ومن التقيد بوصف ، أو دلالة إضافية لدلالته على ما يؤدي به الحدث.

وتكون دلالة المصدر على الحدث دلالة مطابقة ؛ بمعنى أن الحدث هو كل دلالة المصدر وليس جزءاً من معناه ، وبهذا يتميز المصدر عن كل الصيغ التي تتضمن معنى الحدث ، فالفعل يدل على الحدث دلالة تضمينيه ؛ بمعنى أن الحدث جزء من معنى الفعل إذ يشاركه فيها الزمن ، وكذلك الصفة ؛ الحدث جزء من معناها إذ يشاركه الموصوف (فاعل أو مفعول) ، وكذلك في اسم الآلة ؛ يشارك الحدث في المعنى الأداة التي يؤدي بها الحدث[٦].

---

(٢) اللمع، ص ٤٨.

(٣) العكبري، المسائل الخلافية، ص ٤٥.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ١/ ٢٣.

(٥) ألفية ابن مالك، ص ٢٩.

(٦) ينظر: وسمية منصور، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي، ص ٣٦ – ٣٧.

المطلب الثاني: اسم المصدر

لم يُحدد لاسم المصدر تعريف موحد ؛ فقد أطلقه الأقدمون من النحاة واللغويين على كثير من الكلمات التي لا يجمعها إطار واحد.

وقد اجتهد أ.د. محمد المهدي في النظر في أقوالهم وجمع شتاتها ؛ ليخرج بتعريف -اعتمده مجمع اللغة العربية في القاهرة - حيث قال: "ما دل على الحدث، مع زيادة معنى مرتبط بالحدث لا يدخله في الأبواب الصرفية، أو ليس له فعل يجري عليه" (٧).

فاسم المصدر مشارك للمصدر العام في الدلالة على الحداثة، إلا أن اسم المصدر دال على الحدث وعلى زيادة في المعنى متعلقة بالحدث، وهذه الزيادة لا تدخله في الأبواب الصرفية الأخرى ؛ فهو ليس دالا على الحدث والذات كالمشتقات، وعلى وقوع الحدث مرة واحدة كاسم المرّة، ولا على هيئة صاحبه ووصفه كاسم الهيئة...الخ ؛ بل حكم النحاة على أمثلتها بأنها اسم مصدر لأنها دلت على الحدث وعلى علميته كفجار، أو على الحدث وانتهاء الغاية كالحصاد، أو الحرفة كالخياطة، أو الكثرة كالتردد، أو على الحدث وأثره ومحصلته كالثواب لما يثاب به، والعطاء لما يعطى، أو على الحدث وما يتحقق به كالوضوء والطهور، أولم يجر على الفعل المستعمل له كأقرض قرضا(٨)؛ وهو ما عبر عنه بما نقص عن حروف فعله(٩).

---

(٧) محمد مهدي، الصرف الميسر، ص ٧٦ — ٧٧.

(٨) ينظر: محمد مهدي، الصرف الميسر، ص ٧٦ — ٧٧.

(٩) ينظر:الصبان،حاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك، ١٦٤/١-١٦٥.

وأما عن الفرق الدلالي بين اسم المصدر والمصدر ؛ فإن استعمال المصدر أقوى دلالة على المعنى المراد من استعمال اسم المصدر؛ ففرق دلالي بين "تكليما" و "كلاماً" في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤][١٠].

المطلب الثالث: المصدر الميمي

عرفه المبرد بأنه: المصدر الذي تلحقه الميم في أوله زائدة، فقال: "اعلم أن المصادر تلحقها الميم في أولها زائدةً؛ لأن المصدر مفعولٌ. فإذا كان كذلك جرى مجرى المصدر الذي لا ميم فيه في الإعمال وغيره، وذلك قولك: ضربته مضرباً..."[١١].

ويضيف السيوطي إلى هذا التعريف أنها تدرك بالقياس فيقول: " ولهذه الأفعال مصادر دخلت الميم زائدة في أولها تدرك بالقياس "[١٢].

ويمثل له بـ: المفَر والمضرَب...الخ[١٣].

المطلب الرابع: المصدر الصناعي

وهو من المصطلحات المتأخرة، واستخدامه قليل عند القدامى، ولم يُذكر له في القرآن الكريم إلا مثالان: (رَهْبَانِيَّة)، و(جَاهِلِيَّة). فهو المصدر الُمكَوّن من إضافة ياء النسب، وتاء النقل إلى الكلمة المراد صنع المصدر منها[١٤].

والمصدر الصناعي يدل على الحَدَث، وعلى صفة في الاسم، ثم إن دلالة المصدر على الحدث دلالة على مطلق الحدث، أما الدلالة في المصدر الصناعي فهي لأداء وظيفة أخرى: وهي استغراق صفات المعنى الأصلي، ونسبة هذا المعنى إلى

---

(١٠) ينظر: هادي نهر، المصدر في القرآن، ص ٢١.

(١١) المبرد، المقتضب، ٢/ ١١٩.

(١٢) السيوطي، المزهر، ٢/ ٩٦.

(١٣) السيوطي، المزهر، ٢/ ٩٦.

(١٤) ينظر: محمد المهدي، الصرف الميسر، ص ٨٢ – ٨٥.

طوائفه ؛ وهو يكتسب الدلالة على ما يحيط من الهيئات والأحوال إن صنع من اسم المعنى ؛ فالرجولة تعني خلاف الأنوثة ، والرجولية تعني هذا أيضا مضافا إليه الشهامة والمروءة..."[١٥].

المطلب الخامس: ظاهرة تعدد أبنية المصادر وأسبابها

إن المتتبع للمؤلفات اللغوية من معاجم وكتب في اللغة ، يتبين حقيقة تعدد صيغ المصادر في اللغة العربية ، وهذا التعدد لا يحصى بسهولة ؛ فالجذر اللغوي الواحد تتعدد مصادره بحيث تكثر أو تقل ، فمنها ما ضبط بالقياس ، ومنها ما ترك للسماع[١٦].

فيورد أبو حيان أربعة عشر مصدرا للفعل "لقي" فيقول : "اللقاء : استقبال الشخص قريبا منه ، والفعل منه لقي يلقى ، وقد يقال لاقى ، وهو فاعل بمعنى الفعل المجرّد ، وسمع للقى أربعة عشر مصدرا ، قالوا : لقى ، لقيا ، ولقية ، ولقاة ، ولقاء ، ولقاء ، ولقى ، ولقي ، ولقياء ، ولقياء ، ولقيا ، ولقيانا ، ولقيانة ، وتلقاء"[١٧].

وللفعل "شنىء" ستة عشر مصدرا يقول في ذلك : " الشنآن : البغض ، وهو أحد مصادر شنىء. يقال : شنىء يشنأ شنأ وشنآنا مثلثي الشين فهذه ستة : وشناء ، وشناءة ، وشناء ، وشنأة ، ومشنأة ، ومشنئة ، ومشنئة ، وشنانا ، وشنانا"[١٨].

فهذه ستة عشر مصدرا وهي أكثر ما حفظ للفعل.

وقد وردت ظاهرة تعدد المصادر في كتب كثيرة منها ما جاء في مخصص ابن سيده عنوانا يدلل على التعدد وسمه بـ "باب مصادر مختلفة الأبنية ، متفقة الألفاظ ؛ صِيغَت على ذلك للفرق" [١٩].

---

(١٥) ينظر:هادي، نهر، المصدر في القرآن، ص ١٨ — ١٩.

(١٦) ينظر:الجوارنة، تعدد الأبنية العربية في المعاني الصرفية،ص ٢١٤ وما بعدها

(١٧) أبو حيان، البحر المحيط، (١/ ١٠٢).

(١٨) أبو حيان، البحر المحيط، (٤/ ١٥٥).

وقد التمس لظاهرة تعدد أبنية المصادر أسباب أهمها:

أولاً: المعيار اللهجي

وهو تفسير قديم، أخذ به المُحْدَثون، ويعزو تعدد صيغ المصادر في الجذر اللغوي الواحد إلى اختلاف اللهجات، يقول الأخفش: "اختلاف اللهجات العربية إنما جاء من قِبَل أنّ أوّل ما وضع منها وضع على خلاف؛ وإن كان مسوقاً على صحة وقياس"[(٢٠)].

فمثلاً: فَعْل وفُعُول. فَعْل: حجازي، وفُعُول: نجدي.

قال الفراء: " إذا جاءك فَعَل مما لم يسمع مصدره؛ فاجعله فَعْلاً للحجاز، وفُعُولاً لنجد" [(٢١)،(٢٢)]

ثانياً: المعيار الدّلالي

وهو السبب الأهم في اختلاف المصادر؛ فقد يكون لأحد المصدرين معنى يختص به، لا يستعمل له المصدر الآخر، أو يكثر استعماله فيه.

فمن ذلك استخدام القرآن الكريم (ضلالة) بدلا من (ضلال) في قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأعراف: ٦١. قال الزمخشري: " فإن قلت: لم قال لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ ولم يقل ضلال كما قالوا؟ قلت:

---

(١٩) ابن سيده، المخصص (٤/ ٣٣٧)

(٢٠) السيوطي، المزهر، ١/ ٥٥ – ٥٦.

(٢١) الرضي، شرح الشافية، ١/ ١٥١– ١٥٢.

(٢٢) ينظر: فاضل السامرائي، معاني الأبنية، ص ٢٢، وسمية منصور، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي، ص ٣٥٥ – ٣٥٦

الضلالة أخصّ من الضلال، فكانت أبلغ في نفى الضلال عن نفسه، كأنه قال: ليس بى شيء من الضلال، كما لو قيل لك: ألك تمر، فقلت: مالي تمرة "[٢٣].

ومنه (الضَرّ) و(الضُرّ): فهو "بالفتح: الضرر في كل شيء، وبالضم: الضرر في النفس من مرض وهزال"[٢٤]. قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. وقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦]. فالضر عام مقابل النفع، " فرّق بين البناءين لافتراق المعنيَين"[٢٥].

وقد اختص القرآن الكريم قسماً من المصادر بمعنى معين: كالصّوم والصّيام، فقد اختص كلمة الصّوم بمعنى الصمت قال تعالى: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾[مريم: ٢٦]. ولم ترد الصّوم إلا في هذا الموضع.

وأما الصّيام: فقد ورد في القرآن الكريم (٩) مرّات، كلّها بمعنى العبادة المفروضة[٢٦].

ويجدر التنبيه إلى أنّ الاختلاف في دلالات هذه المصادر من زاويتين: الأولى: زاوية البِنْية الصّرفية مجردة، أعني خارج السّياق؛ ففرق بين دلالة المصدر الميمي والمصدر الصريح، سواء أكانا خارج السياق أم في داخله. والثانية: من زاوية السّياق حيث يتضح الفرق بين البناءين أكثر فأكثر[٢٧].

---

(٢٣) الزمخشري، الكشاف، (٢/ ١١٣).

(٢٤) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٣٣٥.

(٢٥) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٣٣٥.

(٢٦) ينظر: فاضل السامرائي، معاني الأبنية، ٢٣- ٢٤، وسمية منصور، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي، ٣٨٠ - ٣٨٣.

(٢٧) ينظر: هادي نهر، المصدر في القرآن، ص١٥.

المبحث الثاني: المصادر التي تعددت أبنيتها في سورة محمد ﷺ

أولا: المَنّ

ورد مصدر المنّ في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤].

وورد في سورة البقرة في قوله تعالى﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٢].

ولم يرد مصدر آخر لهذا الفعل في القرآن كـ (مِنَّة) مثلاً.

قال الراغب: " والمِنَّةُ: النّعمة الثّقيلة، ويقال ذلك على وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال: منَّ فلان على فلان: إذا أثقله بالنّعمة، وعلى ذلك قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، (كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) [النساء: ٩٤]...، وذلك على الحقيقة لا يكون إلّا للّه تعالى. والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلّا عند كفران النّعمة، ولقبح ذلك قيل: المِنَّةُ تهدم الصّنيعة، ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النّعمة حسنت المنّة". ثم بيّن أنّ في معنى المنّ في آية القتال: إشارة إلى الإطلاق بلا عوض(٢٨).

وجاء في اللسان: "ومَنَّ يَمُنُّ مَنّاً...، ومَنَّ عَلَيْهِ مِنَّةً "(٢٩).

ونلحظ أن المنّ في سورة محمد(صلى الله عليه وسلم) عني به: الإطلاق من غير فدية (٣٠). وهذا مَنّ بالفعل كما قال الراغب، وهو مِن مَطْلُوب التوجه إليه.

---

(٢٨) ينظر:المفردات، الراغب، ص٤٧٤

(٢٩) ابن منظور، لسان العرب، ١٣/٤١٧- ٤١٨.

(٣٠) ينظر: الفراء، معاني القرآن، ٣/٥٧. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨/ ٢٠٩.

وأما المن في الآيتين: فقد اقترن بالأذى، وهو التحدث بما أُعطي، حتى يبلغ ذلك المُعْطَى فيؤذيه (٣١). وهو مَنّ بالقول وهو أمر منهي عنه مستقبح فيما بين الناس.

وأما لِمَ لَمْ يستخدم القرآن المصدر (مِنّة)؟ فقد اجتهدت في ذلك تبعاً لتفريق اللسان السابق؛ أن المنة: تبين فضل المُعطي على من يعطيه؛ ولا فضل له في الحقيقة، ولا نريد إظهار ما تحمله الصيغة من هذا المعنى في المقامين، ففي الأول: وهو إطلاق الأسرى بلا عوض، وقطعاً لا نريده مطلقاً في مقام الصدقة والعطية.

ثانيا: الفداء

وقد جاء في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

في حين ورد المصدر فدية في ثلاثة مواضع وهي: قوله ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾[البقرة: ١٨٤].

وقوله: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وقوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥].

والفداء والفدية مصدران لفعل واحد وهو فدى.

وقد بيّن الإمام الراغب -ببصيرته الثاقبة- الفرق بينهما، وخروج كلٍّ منهما إلى معنى مستقل، فقال: "الفداء حفظ الإنسان عن النائبة بما يبذله عنه"، ومثل لذلك

---

(٣١) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٢/٦٥٩. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٨٠.

بآية سورة محمد (صلى الله عليه وسلم)، والفدية: "ما يقي به الإنسان نفسه من مال يبذله في عبادة قصّر فيها" ككفارة اليمين، كفارة الصوم..."[٣٢].

وألمح ابن فارس إلى هذا؛ فقال: " الفاء، والدال، والحرف المعتل: كلمتانِ متباينتان جدّاً. فالأولى: أنْ يُجعلَ شيءٌ مكانَ شيءٍ حِمىً له، والأُخْرى شيءٌ من الطَّعام "[٣٣].

فيلحظ أنّ ما يبذل فداء يكون عاصماً وحمى له من نائبة عظيمة كالأسر. فالأسير معرض لإصابة القتل في أية لحظة، ويفدي نفسه بالمال، أو بغيره من الأسرى، أو بأي شرط يشترط عليه[٣٤].

وليس مثله الفدية؛ التي يبذلها صاحبها جبراً عنه؛ لنقص أو تقصير بدر منه.

ولعلّ الفدية حملت معنى خاصاً في سورة الحديد؛ لأنها جاءت في سياق الحديث عن يوم القيامة والحياة الأخرى، وشدة ما يعالجه الكفار والمنافقون من عذاب؛ لكن لا فدية تقبل تحميهم من هذا العذاب المحيط، فاليوم لا يؤخذ منكم أيها المنافقون أيّ شيء تبذلونه يسيراً أم كثيراً؛ بل أنتم قاطنون في جهنم؛ هي المأوى والمسكن لكم، فالفدية قد تقبل في الدنيا؛ لكن لا تقبل في الآخرة.

ثالثا: عاقبة

وقد جاء في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) في الآية العاشرة في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد: ١٠].

---

(٣٢) ينظر: المفردات، ص ٦٢٧.

(٣٣) معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٤٨٣.

(٣٤) ينظر الرازي، التفسير الكبير ٢٨ / ٤٥.

وجاء هذا المصدر في اثنين وثلاثين موضعا. منها: ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]. وقوله: ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٤]. وقوله: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [النمل: ٥١]. وقوله: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [الروم: ١٠]. ﴿ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ﴾ [الطلاق: ٩].

وجاءت مصادر أخرى للفعل ذاته في القرآن. وهي: (عقبى) في خمسة مواضع هي: قوله تعالى: ﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٢]. وقوله: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٤]. وقوله: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [الرعد: ٣٥]. ﴿ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد: ٣٥]. وقوله: ﴿ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٤٢].

و(عقباً) جاءت في سورة الكهف: ﴿ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴾ [الكهف: ٤٤].

وقبل أن نتأمل هذه الآيات التي وردت فيها هذه المصادر -وإخالك قد علمت الفرق بينها – أبقى مع الإمام الأحوذي، الراغب الأصفهاني، وهو يحدثنا عن الفرق بين هذه المصادر، ثم نرى هل يشهد لذلك الاستعمال القرآني.

يقول الراغب: " والعُقْبُ والعُقْبَى يختصّان بالثّواب نحو: ﴿ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴾ [الكهف: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٢]، والعاقِبةَ إطلاقها

يختصّ بالثّواب نحو: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، وبالإضافة قد تستعمل في العقوبة نحو: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ﴾ [الروم: ١٠] "[٣٥].

قلت: لعل الإمام الراغب أراد بجمعه بين المصدرين (عُقْب) و (عُقْبَى) وكونهما يختصان بالثواب، أي: يأتيان في سياق بيان حسن ثواب المؤمنين وجزائهم وعاقبة أمرهم.

وقد يفرق بينهما أن المصدر (عقبا) والذي جاء في موضع وحيد في سورة الكهف: ﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾ [الكهف: ٤٤].جاء بمعنى المرجع والخاتمة[٣٦]. مسجلا للمؤمنين حسن مآلهم، وخير خاتمتهم؛ فخير عاقبة في الآجل إذا صار المطيع إلى الله الولي الحق[٣٧]. ويؤيد هذا المعنى العطف على (ثوابا)، والعطف مقتض المغايرة فالعقب ليس الثواب والجزاء وإن أسهم في بيان هذا الجزاء.

أما (عقبى) فهي جزاء الأمر[٣٨]. يختص بثواب وعاقبة الخير حتى فسرت بالجنة وأصبحت اسماً عليها؛ فعاقبة الآخرة، الجنّة بدلاً من النّار، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]. وقوله: ﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد: ٢٤].

ولكن نجد هذا المصدر (عقبى) ممثلا لمصير الكافرين ألا وهي النّار؛ فكيف نخرّج ذلك؟.

أقول: إنّ مَن يقرأ الآية الكريمة من أولها يتبين الأمر لديه؛ فقد جاءت (عقبى) مع الكافرين، مقابلة ومشاكلة لعقبى مع المؤمنين. قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ

---

(٣٥) ينظر: المفردات، ٥٧٥.

(٣٦) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١/٦١٩.

(٣٧) ينظر: الطبري، جامع البيان، ١٨/٢٩.

(٣٨) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١/٦١٩ والفيروزآبادي، بصائر ذووي التمييز ٤/٨١.

ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد: ٣٥]. وأما قوله: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٤٢] فتفسر على أن المقصود العاقبة المحمودة أيضاً؛ فيأتي الكافرَ العذابُ من حيث هو في غفلة عنه، فحينئذ، يعلم لمن هي العاقبة المحمودة(٣٩).

بقي أن أشير إلى قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ [الشمس: ١٤ – ١٥]. ولا يعنى بالعقبى هنا الجزاء؛ بل التبعة؛ فقد يخاف المعاقبون من الملوك من عاقبة ما يفعلونه وتبعته، وليس كذلك رب العزة(٤٠).

وأما (العاقبة): فالغالب أنها تستعمل في العقوبة وجزاء السّوء، وذلك واضح في الآيات التي مثلنا بها، ومثلها كثير، وذلك عند الإضافة كما بيّن الراغب -رحمه الله - كعاقبة المكذبين، وعاقبة المجرمين، وعاقبة المفسدين، وعاقبة الظالمين... الخ.

إذن: فالأمر واضح؛ أن العاقبة قد تستعمل في العقوبة عند الإضافة، ويشهد لذلك الاستعمال القرآني.

أما عند الإطلاق؛ فتدل على جزاء المؤمنين، وأن عاقبة الخير هي الأصل. قال ابن المنير: (إن المؤدي إلى حمد العاقبة مأمور به والمؤدي إلى سوئها منهي عنه، فمن ثـمّ كانت عاقبة الخير هي الأصل)(٤١). ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [بالأعراف: ١٢٨]. وقوله: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القصص: ٨٣].

---

(٣٩) ينظر: أبوحيان، البحر المحيط، ٥/ ٣٩٠.

(٤٠) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ١٦/٢٦٢.

(٤١) حاشية الكشاف، ٢/ ٥٠٦.

وقولـــه: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢].

وأما إضافة عاقبة إلى الأمور كما في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١]. فلا تختص بالعقوبة؛ إنما جاءت عامة، والمعنى: مرجعها إلى حكم الله وتقديره[٤٢].

رابعا: هدى

وقد جاء في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٧].

وورد في القرآن في ثمانية وأربعين موضعا منها: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقـرة: ٢]. ﴿ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقـرة: ١٨٥]. ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمـران: ١٣٨]. ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ ﴾ [آل عمـران: ٧٣]. ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾ [الأنعام: ٧١].

ولم يأت الفعل (هدى) في القرآن على غير هذا المصدر، (كهداية) مثلاً.

قال الراغب: "والهداية: دلالة بلطف ومنه الهديّة، ... وخص ما كان دلالة بهديت، وما كان إعطاء بأهديت، نحو: أهديت الهدية وهديت إلى البيت"[٤٣].

---

(٤٢) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ١٥٧.

(٤٣) المفردات، ص ٨٣٥.

وقد ذكر الراغب أقسام الهداية الربانية للإنسان، ثم مثل للهداية الثالثة والرابعة بآيات من سورة محمد (صلى الله عليه وسلم)، فقال: " الثالث: التوفيق الذي يختص به من اهتدى، وهو المعني بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ [محمد: ١٧]. والرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنّة، المعني بقوله: ﴿ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴾[محمد: ٥]"(٤٤).

ثم قال الراغب: "وكل هداية نفاها الله عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وعن البشر، وذكر أنهم غير قادرين عليها؛ فهي ما عدا المختص في الدعاء وتعريف الطريق، وذلك كإعطاء العقل، والتوفيق، وإدخال الجنة"(٤٥).

فما جاء في القرآن الكريم بهذا المصدر (هُدَى) يدل على هداية الدين فحسب؛ فالهدى خاصّ بالإرشاد والتبين فيما يتصل بأمر الدين، أما الهداية؛ فأتم وبها تتحقق المعرفة.

قال الهروي: " (وهديت القوم الطريق) بغير ألف أيضا، أهديهم (هداية)، فأنا هاد، وهم مهديون: أي عرفتهم إياه ودللتهم عليه، وهذه لغة أهل الحجاز، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[سورة الفاتحة ٦] وغيرهم يقول: هديتهم إلى الطريق، فيعديه بحرف الجر. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الشورى ٥٢، ٥٣].وهديتهم (في الدين هدى): أي دللتهم، وأرشدتهم، وبينته لهم، والهُدى ضد الضلال، وهو الرشاد والدلالة "(٤٦).

(٤٤) المفردات، ص ٨٣٥- ٨٣٦.

(٤٥) المفردات، ص ٨٣٦.

(٤٦) الهروي، إسفار الفصيح، ١/٤٣١-٤٣٢

خامسا: تقوى

وجاء في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾[محمد: ١٧]. وقد أتى مصدر (التّقوى) في ستة عشر موضعاً في القرآن، منها: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ [البقرة: ١٩٧]، و﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾[الأعراف: ٢٦]. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [الحجرات: ٣] الخ.

وأما المصدر (تُقاة) فقد أتى في موضعين في السورة نفسها، وهما: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أصل المادة: وقى يقي، و"الوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره... والتقوى: جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه. ثمّ يسمّى الخوف تارة تَقْوًى، والتَّقْوَى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه، وصار التَّقْوَى في تعارف الشّرع حفظ النّفس عمّا يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتمّ ذلك بترك بعض المباحات..."(٤٧).

"والتقوى في الطاعة يراد به الإخلاص، وفي المعصية يراد به الترك والحذر"(٤٨).

وتحمل التقوى في المواضع التي ذكرت في القرآن على التقوى في تعارف الشرع الذي بُيّن سابقاً.

أما (التقاة)؛ فمعناها في الآية ٢٨ من سورة آل عمران، كما قال الزمخشري: (إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه يدعوكم إلى موالاتهم،

---

(٤٧) الراغب، المفردات، ص٨٨١، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٥/ ٤٠١.

(٤٨) ينظر الجرجاني، التعريفات، ص ٦٨.

والمقصود بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة؛ والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء، وانتظار زوال المانع) [٤٩]. فيفهم من كلامه: أن التقاة هنا مصدر يدل على الخوف حسب تسمية الشيء بمقتضيه، كما بيّن الراغب، أي التقاة هنا على معناها اللغوي، وعلى معنى الخوف خاصة.

أما التقاة في الآية الثانية؛ فلم أجد -فيما اطلعت عليه من كتب التفسير - إلا من يفسر التقاة بالتقوى، أو بواجب التقوى. من ذلك قول الزمخشري: (حَقَّ تُقاتِهِ: واجب تقواه وما يحق منها، وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم، ونحوه (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) يريد: بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا) [٥٠]. فالتقاة: المبالغة في التقوى، أو لعلّها تحمل معنى الخشية من الله، كما حملت حملت التقاة في الآية الأولى معنى الخوف من الأعداء. ولا يخفى الفرق بين الخشية والخوف. والله تعالى أعلم.

سادسا: الذّكرى

جاءت في سورة محمد – صلى الله عليه وسلم – في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾[محمد: ١٨].

وأتت (ذكرى) في اثنين وعشرين موضعا آخر في القرآن منها: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٢].وقوله: ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الفجر: ٢٣]. وقوله: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾ [عبس: ٣ – ٤].﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ

---

(٤٩) الكشاف، ١/ ٤٢٢.

(٥٠) الكشاف، ١/ ٤٥٠.

ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾[ص~: ٤٦]. وكذلك في ص~: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص~: ٤٣].

وجاء في مقابل ذلك المصدر (ذكر) في سبعين موطنا منها ما هو مقترن بلفظ الجلالة (الله) كما في قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١].وقوله: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].وقوله: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ [النور: ٣٧]. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ومطلقا؛ ليدل في غالبها على القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. وقوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤].. الخ.

وقبل أن أفرّق بين هذين المصدرين، أعّرج على ما سطره الراغب، حيث قال: " الذّكر: تارة يقال ويراد به هيئة للنفس، بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ، إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتبارا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء في القلب، ولذلك قيل: الذكر ذكران: ذكر بالقلب. وذكر باللسان.... والذِّكْرَى: كثرة الذّكر، وهو أبلغ من الذّكر، قال تعالى: ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٤٣]" (٥١).

---

(٥١) المفردات، ص ٣٢٨ – ٣٢٩.

فأقول بعد الاعتماد على الله، ومن ثمّ ما سبق، وبعد تأويل الآيات: إن الذكر في القرآن جاء لمعان مختلفة، مثل: القرآن، والشّرف، والتسبيح، والعبادة الخاصة بذلك، ... الخ[(٥٢)].

وجاءت بمعنى (التذكر) في مواطن منها: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]. وهذا الذي يعنينا هنا في مقابلة مصدر الذكرى، والذي قدمت أن الراغب حدده بكثرة الذكر؛ وهو أبلغ من الذكر، ويشهد لذلك الاستعمال القرآني بمجيء الذكرى في مواطن تقتضي المبالغة بالذكر، كما في سورة محمد(صلى الله عليه وسلم) ومعناه: " إن تأتهم الساعة؛ فكيف لهم ذكراهم؟، أي تذكرهم واتعاظهم إذا جاءتهم الساعة، يعني: لا تنفعهم الذكرى حينئذ، كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾[الفجر: ٢٣]"[(٥٣)].

فمجيء الساعة، وحضور أهوالها، لا ينفع معه حتى المبالغة في الذكر والتذكر.

وكذا أضيفت الذكرى لأولي الألباب؛ والتذكرة البليغة لا تكون إلا لهم. فهم أهل لفهمها.

وهذا الذكر الكثير هو الذي ينفع المؤمنين، ويسبب لهم الفلاح: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. والله تعالى أعلم

---

(٥٢) ينظر: ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص٣٠١-٣٠٦، والدامغاني، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص١٨٠.

(٥٣) الزمخشري، ٤/ ٣١٥. وينظر الألوسي، روح المعاني ٥٢/٢٦

سابعا: متقلب

ورد في سورة محمد(صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩]. ولم يرد في غير هذا الموضع.

أما (تقلّب): فقد ورد في خمسة مواضع، هي قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤].وقوله: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ [آل عمران: ١٩٦].وقوله: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾[الشعراء: ٢١٨ – ٢١٩]وقوله: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [النحل: ٤٦].وقوله: ﴿ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ [غافر: ٤].

قال الراغب: " وتَقْلِيبُ الشيء: تغييره من حال إلى حال.... وتَقْلِيبُ الأمور: تدبيرها والنّظر فيها.... وتَقْلِيبُ اللّه القلوب والبصائر: صرفها من رأي إلى رأي، ...والتَّقَلُّبُ: التّصرّف "[٥٤].

وقال ابن فارس: (القاف واللام والباء أصلانِ صحيحان: أحدهما يدلّ على خالِص شَيءٍ وشَرِيفِه، والآخَرُ على رَدِّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهة)[٥٥].

وما يعنينا هنا هو الأصل الثاني، ويبدو معنى التقلب: وهو الحركة الظاهرة والتردد من جهة إلى جهة، واضحاً في الآيات الكريمة.

أما (المتقلب): ففيه إلى جانب الدلالة على أن كل أحد متحرك في الدنيا دائما نحو معاده غير قار[٥٦] الإشارة إلى المكان، وهذا ما يفصح عنه استخدام المصدر الميمي

---

(٥٤) الراغب، ص ٦٨٢.

(٥٥) معجم مقاييس اللغة، ٥/ ١٨.

(٥٦) ينظر: الألوسي،روح المعاني ١٤/ ١٠٠٤.

الذي يعد أكثر تأكيداً للمعنى المراد من المصدر الصريح ؛ لأن فيه زيادة على الحدث بما يشير إلى الوجه الذي ينزل إليه ، والمكان الذي يحل فيه [٥٧].

وكذلك نلمس المعنى في المصدر الميمي المعطوف عليه وهو مثواكم ؛ فالمادة تدل على الإقامة مع الاستقرار ، والصيغة تدل على المكان أيضاً.

ثامنا: القتال

وقد جاء في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٠]. وجاء في اثني عشر موضعا آخر منها : قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٦]. وقوله : ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ [النساء : ٧٧].وقوله : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢١٧].

ولم يأت الفعل (قَاتَلَ) على غير هذا المصدر في القرآن ؛ فلم يستخدم مقاتلة مثلاً. جاء في اللسان : "وقاتله : مقاتلة وقتالاً"[٥٨].

ومعنى القتال في مواضع وروده عند المفسرين [٥٩] جهاد المشركين. قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ﴾ [محمد : ٢٠]" كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ

---

(٥٧) هادي نهر، المصدر في القرآن، ص ٤٨.بتصرف

(٥٨) ابن منظور، لسان العرب ٥٤٨/١١.

(٥٩) ينظر مثلا: الطبري، جامع البيان،١٥٤/٢٢،والزمخشري، الكشاف،٢٩١/١،والرازي، التفسير الكبير،٣٨٤/٦، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٧.

في معنى الجهاد فَإِذا أُنْزِلَتْ وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم، وسقطوا في أيديهم"[٦٠].

وهنا يظهر الفرق بين المصدرين: القتل والمقاتلة، ويبين سرّ عدول القرآن عن مصدر المقاتلة بمصدر القتال؛ لأنه لما أراد بيان فرض الجهاد والإذن به، ودعا إليه منهجا محكما باقيا إلى يوم القيامة، عبر عنه بالمصدر القتال. وليس كذلك صيغة المقاتلة؛ فهي قد تكون من مقدمات القتال، أي المبارزة التي تسبق التحام الصفوف. قال الرازي: "وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأن المقاتلة تكون قبل القتال"[٦١]. وقد تكون نزالا لمرة واحدة لا يعقبه التحام، قال ابن سيده: " وأما فاعَلْت فإنَّك إن أَرَدْت الواحدةَ قلت قاتَلْتُه مُقاتَلةً، ورامَيْته مُراماةً، ولا تقول قاتَلْته قِتالةً لأن أصل المَصْدَر في فاعَلْت مفاعَلةٌ لا فِعالٌ، وإنما تجعلُ المرةُ على لفظ المَصْدَر الذي هو الأصل" [٦٢]، وليس إلى ذلك قصد القرآن بالجهاد فهما عاما باقيا ركنا من أركان الاسلام وذروة لسنامه. والله أعلم.

تاسعا: الطاعة

ورد المصدر (طاعة) في سورة محمد(صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [محمد: ٢١].

وورد كذلك في موطنين اثنين هما: قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ٨١].

---

(٦٠) الزمخشري، الكشاف، ٤/٣٢٤

(٦١) الرازي، التفسير الكبير، ٩/١٢٣.

(٦٢) الزمخشري، الكشاف، ٤/٣٢٤

وقوله: ﴿ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٥٣].

أما (طوعاً) فقد أتى في أربعة مواضع، هي: قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣]. وقوله: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٥٣]. وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾ [الرعد: ١٥]. وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١].

(قَالَ ابْن السّكيت: يُقَال أمره بِأَمْر فأطاعه، بِالْألف لَا غير. وَالْعرب تَقول: لَهُ عليّ أمره مطاعة. قَالَ: وَقد طاع لَهُ إِذا انْقَادَ لَهُ بِغَيْر ألف. وَقَالَ اللَّيْث: الطَّوع: نقيض الكَرْه، لتفعلنّه طَوْعاً أَو كرها، وطائعاً أَو كَارِهًا. وطاع لَهُ إِذا انْقَادَ لَهُ، فَإِذا مضى لأَمره فقد أطاعه، وَإِذا وَافقه فقد طاوعه)[٦٣].

وقد فرّق الراغب بينهما فقال: " الطَّوْعُ: الانقيادُ، ويضادّه الكره...، والطَّاعَةُ مثله لكن أكثر ما تقال في الائتمار لما أمر، والارتسام فيما رسم"[٦٤]. وعد آية سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) من هذا الباب فقال: "﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ [محمد: ٢١]، أي: أَطِيعُوا"[٦٥].

والذي يظهر من خلال الآيات؛ أن الطاعة جاءت في مواضعها في سياق الحديث عن المنافقين، وعن الطاعة التي يصورونها؛ فهي ليست طاعة حقيقية؛ بل هي طاعة في الظاهر؛ خديعة في الحقيقة، ويلتئم هذا المعنى مع التقدير الذي يُقال في

---

(٦٣) الأزهري، تهذيب اللغة ٣/٦٦.

(٦٤) ينظر: الراغب، المفردات، ٥٢٩.

(٦٥) ينظر: الراغب، المفردات، ٥٢٩.

آية سورة النور وهو: طاعتكم طاعة معروفة؛ بأنها القول دون الفعل، لا التقدير أن ما يطلب منكم طاعة معروفة لا يرتاب فيها كطاعة الخلص من المؤمنين، وكذلك التقدير في آيتي سورة محمد والنساء أن ذلك من حكاية قولهم: أي قالوا: طاعة وقول معروف؛ وقولهم خديعة، وليس التقدير: طاعة وقول معروف خير لهم(٦٦).

ويلتئم هذا أيضاً مع ما يقابله من تعبير بالمصدر (طوعاً) وهو الانقياد، والموافقة، والاتباع.

فنلحظ أنه يوصف به جميع من في السموات والأرض من أحياء وجمادات؛ فالكل منقاد لله؛ والمؤمن منقاد له، ولا ينشز عن رتيبة هذا الكون المنقاد إلا الكافر والمنافق، ولما كان الأمر كذلك عبر عن الائتمار للأمر بالطاعة، وعبر عن انقياد الكون بالطوع.

عاشرا: إسرار

وردت في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) تعقيباً على قول (سنطيعكم في بعض الأمر)، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٦].

وفي سورة نوح أيضا في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح: ٩].

أما (السِّر) فقد ورد في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً منها: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ [البقرة: ٢٧٤].وقوله: ﴿ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾ [النحل: ٧٥].﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾ [التوبة: ٧٨].

---

(٦٦) ينظر: الزمخشري،الكشاف ٣/ ٤٤٣، و الألوسي، روح المعاني ١٤/ ١٠٣.

قال ابن فارس: "السين والراء يجمع فروعه إخفاء الشيء. وما كان من خالصه ومستقرِّه. لا يخرج شيءٌ منه عن هذا" (٦٧).

وقال الراغب: " الْإِسْرَارُ: خلاف الإعلان، قال تعالى: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [إبراهيم: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [التغابن: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ [الملك: ١٣]، ويستعمل في الأعيان والمعاني، والسِّرُّ: هو الحديث المكتم في النّفس. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، وقال تعالى ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ "(٦٨).

وألمح إلى تفريق بينهما حيث قال: "إنّ الإسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يفضى إليه بالسّرّ، وإن كان يقتضي إخفاءه عن غيره، فإذا قولهم أسررت إلى فلان يقتضي من وجه الإظهار، ومن وجه الإخفاء، وعلى هذا قوله: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٩]"(٦٩).

يتبين مما سبق: أن السّر هو الحديث المكتم في النفس من غير أن يطلع عليه أحد، وهذا الذي يرجحه سياق الآيات؛ حيث تبين عظيم علم الله الذي يصل إلى خبايا النفوس وخلجاتها.

أما الإسرار: فهو وإن كان فيه معنى الخفاء إلا أنه فيه إظهار من جهة أخرى؛ بأن المتكلم يظهر أمره لمن يريد أن يضع سره عنه.

وأيضاً: في استخدام صيغة (الإسرار) بالمصدر دون اسم المصدر (السر) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٩] من التأكيد والمبالغة ما فيها، حيث

---

(٦٧) معجم مقاييس اللغة ٣/٦٧.

(٦٨) المفردات،ص ٤٠٤.

(٦٩) المفردات،ص ٤٠٤.

استعمال المصدر أقوى دلالة على المعنى من استعمال اسم المصدر الذي لا يدل على الحدث مباشرة؛ بل على الاسمية، وحملت صيغة (إسرارا) العموم كذلك، كما قال الألوسي في آية القتال: أي إخفاؤهم ما يقولون لليهود أو كل قبيح، ويدخل ذلك دخولاً أولياً[٧٠].

الحادي عشر: رضوان

وقد جاء في سورة محمد(صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٨].

وقد استخدمه القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعاً، كلها مختصة برضوان الله تعالى من هذه المواضع: قوله: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٦٢].وقوله: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢١].وقوله: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد: ٢٧].

ولم يستخدم القرآن غيره من المصادر لأنه اقترن بما عند الله، وما عند الله عظيم وكثير، فناسب استخدامه، قال العسكري في الفروق: " وقيل: الرضوان: الكثير من الرضا، ولذلك خص في التنزيل بما كان من الله من حيث إن رضاه أعظم الرضا "[٧١]، والتفريق بين الرضا والرضوان هو ما اختاره الراغب وغيره، فقال: (الرضوان: الرضا

---

(٧٠) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ١٤ / ١١٣.

(٧١) الفروق ص ٢٥٧.

الكثير، ولما كان أعظم الرضا رضا الله تعالى، خصّ لفظ الرضوان في القرآن بما كان من عند الله تعالى)[٧٢].

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الماتعة في ظلال القرآن والتنعم بمأدبته يطيب لي أن أشير إلى بعض النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة:

١ -أهم أسباب تعدد أبنية المصادر هو المعيار الدلالي الذي يظهر في زاويتين خارج السياق أي من زاوية البنية الصرفية، وداخلي: السياق الذي يتضح معه الفرق أكثر فأكثر.

٢ -للسياق وما قرره علماء العربية من أن زيادة المبنى زيادة في المعنى، وما وضعه اللغويون من ضوابط لتحديد معاني أبنية المصادر إسهام في الإجابة عن عدول التعبير القرآني عن صيغة إلى أخرى في المصدر.

٣ -يشهد الاستعمال القرآني للمصادر في سورة محمد صلى الله عليه وسلم (نموذجا) لروعة إيثار بناء على آخر في القرآن، حيث تسهم صيغة الكلمة في إبصار السر البلاغي لانتقاء الكلمة القرآنية.

التوصيات

الدعوة إلى دراسة موضوع بلاغة استخدام المصدر في القرآن وخاصة فيما يتصل بتعدد أبنيته دراسة علمية تأصيلية رصينة بتعهد صيغ المصادر جميعها في القرآن

---

(٧٢) المفردات، ص ٣٥٦. وينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٢/ ٤١٦- ١٤٧، الشهاب الخفاجي،حاشية الشهاب على البيضاوي،٣/١١.

بالدراسة والتحقيق كلها تضيف جديدا إلى الدراسات البلاغية المتصلة بالقرآن الكريم وتثري المكتبة القرآنية بموضوع شائق ماتع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

[١] الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، *تهذيب اللغة*، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

[٢] الألوسي، محمود بن عبدالله، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، إدارة المطبعة المنيرية، دار إحياء التراث – بيروت.

[٣] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني، *التعريفات*، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

[٤] ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي، *اللمع في العربية*، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية - الكويت، ١٩٧٢م.

[٥] الجوارنة، أحمد محمود، *تعدد الأبنية العربية في المعاني الصرفية*، ط١، المركز القومي للنشر – الأردن، ٢٠١١م.

[٦] ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، *نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر*، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط: ١، مؤسسة الرسالة - لبنان / بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م.

[٧] ابن الحاجب، أبوعمرو عثمان بن عمر، *الشافية في فن الصرف والخط*، عالم الكتب – بيروت، ط٣، ١٩٨٤م.

[٨] أبو حيان، محمد بن يوسف، *البحر المحيط*، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

[٩] الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين المصري الحنفي، *حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي (الْمُسَمَّاة) عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي*، دار صادر ـ بيروت.

[١٠] الدامغاني، الحسين بن محمد، *إصلاح الوجوه والنظائر*، تحقيق: عبدالعزيز الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م.

[١١] الرازي، الفخر محمد بن عمر، *التفسير الكبير*، دار إحياء التراث، العربي – بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

[١٢] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، *المفردات في غريب القرآن*، تحقيق: محمد كيلاني، دار المعرفة بيروت.

[١٣] الرضي، محمد بن الحسن الاستراباذي، *شرح شافية ابن الحاجب*، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون، دار الكتب العلمية –بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

[١٤] الزمخشري، جارالله محمود بن عمر، *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

[١٥] السامرائي، فاضل، *معاني الأبنية في العربية*، جامعة بغداد – بغداد، ١٩٨١م.

[١٦] ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، *المخصص* ـ تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

[١٧] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، *المزهر في علوم اللغة*، وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جادالله ومحمد علي، دار الكتب العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٨٦م.

[١٨] محمد بن علي الصبان الشافعي، *حاشية العلامة الصبان* على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

[١٩] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم *مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[٢٠] الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، *معاني القرآن*، تحقيق: أحمد يوسف نجاتى وآخرون، دارالمصرية للتأليف والترجمة - مصر.

[٢١] الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، تحقيق: محمد علي النجار - عبد العليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٣، ١٤١٦ - ١٩٩٦

[٢٢] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، *الجامع لأحكام القرآن*، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.

[٢٣] ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، *ألفية ابن مالك*، دار التعاون.

[٢٤] المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، *المقتضب*، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب – بيروت.

[٢٥] منصور، وسمية، *أبنية المصدر في الشعر الجاهلي*، جامعة الكويت، ١٩٨٤م.

[٢٦] ابن المنير، أحمد بن محمد الاسكندراني ، *الانتصاف مطبوع بهامش الكشاف* ، دار الكتب العلمية – بيروت ط١ ، ١٩٩٥م.

[٢٧] المهدي، محمد المختار، *الصرف الميسر*، ط٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

[٢٨] نهر، هادي، *المصدر في القرآن الكريم*، مركز عبادي – عدن، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

[٢٩] الهروي، أبو سهل محمد بن علي بن محمد النحوي، *إسفار الفصيح*، دراسة وتحقيق: أحمد بن سعيد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤٢٠هـ.

[٣٠] ابن يعيش، يعيش بن علي النحوي، *شرح المفصل*، تحقيق: جماعة من العلماء، إدارة المطبعة المنيرية – القاهرة.

Multiplicity of Infinitive Structure in the Qur'an A Rhetorical Study Chapter 47 (Muhammad) as a Case Study

Dr. Khulud (Mohammad-Ameen) Mahmoud Al-Huwwary
Exegesis and Qur'anic Sciences, Specialization: Qua'ranic Rhetoric
Assistant Professor - Taibah University, Faculty of Arts and Humanities, Department of Qur'anic Studies

Abstract. This study attempts to detect communication using source in the Koran, and the mystery of multiple premises and suitable both for the Quranic context, the role of the building type in defining meaning, the study aims to answer Washington Quranic expression language to another, must be accompanied by reversing the meaning to another, looking at his sources find splendor at the preference in the Quran, and explainers of the formula reported in Word selection on eyesight password rhetorical wathrzelk. owing to the nature of the research that Come study deals with two issues: the first topic: it addresses the theory in terms of the definition of source and statement types and causes of multiple premises, which were limited to the most important premises without expanding the linguistic differences: b. II applied to sources in Al-fighting which dealt with known multiple buildings which did not address the sources unless a second source is known as a source for example and then compare buildings right sources studied with her sisters in the Quran to find out appropriate for each source in context and impact formula in determining significance thus appears Quranic miracles floor and then closing recorded resultsSearch in its entirety on the causes of multiple buildings and answer sources cited Quranic expression language to another source offered recommendations which call for study of the topic of multiple buildings scientific study sources tasilet the pledge of almsadergmiaha formulas in Quran study and investigation may enrich the Koranic Library subject interesting matta connected eloquently Qur'aan God behind the intent.